الإغمـــاء !...

أقصوصة مصرية

[مهداة إلى الأستاذ محمود بك تيمور]

بقلم الأستاذ خليل شيبوب

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

زارتني سلمى مرة في مكتبي وطلبت مني أن أصطحبها إلى مكتب زوجها ، ففعلت ، ولما كنا في الشارع ، علّقت يمناها بيسراي كأن ذلك طبيعي بيننا ؛ ولم يظهر على وجهها أي استغراب لما فعلته ، وصارت إذا جزنا عرض الشارع من رصيف إلى رصيف احتمت بي من السيارات المسرعة ، وشدت بذراعها على ذراعي في حركة عصبية عنيفة

وصرت أفكر طويلاً ، هل بدر مني شيء يدل على رغبتي في استدراجها إلى ، لأن سلوكها معي لم يعد يحتمل الشك في رغبتها في استدراجي إليها ؟ ووقفت حائراً بين أن أفقد صديقين أحبهما حب الإخلاص الصحيح ، وبين أن أخون صديقاً ألفته منذ الصبا وأحول صداقة فتاة عرفتها متدارية بثياب والدتها ووالدتي ، إلى حب لا أقدر مداه ولا نتيجته

وكانت كل هذه الأمور تجري وسلمى لم تحرك شفتها مرة واحدة بكلمة ملتوية ، ولا تنهدت مرة واحدة في وجهي ، ولا لمست مرة واحدة يدي لمسة تحتمل تفسيراً أو تأويلاً . ولكن سرعان ما زحمتني الحوادث وبعدت بي عن تلك الحياة الطيبة التي أذكرها اليوم والأسى يملأ صدري ، والدمع يكاد يتفجر من مقلتي

أجل خاطبتني سلمى بالتليفون تقول : ألا تشرب الشاي معنا اليوم فإني بانتظارك في الساعة الخامسة تماماً لعلنا نخرج في السادسة والنصف إلى السينما

وإني اليوم بعد طول العهد لا أزال أراني نازلاً من العربة أمام باب الحديقة سائراً في الممشى القصير إلى باب المنزل أقرعه قرعة تعرفها الخادمة فتخف إلى الباب تفتحه وأدخل إلى القاعة التي ألفت كل أثاث من مفروشاتها . فهذه مقاعدها المذهبة وحريرها الأحمر المجزع بالبياض ، وهذه خزانة البلور التي حفلت بقطع النفائس التي يتأنق عزيز في اقتنائها ، وهذه مائدة الرخام المستديرة عليها طاقة الورد الصناعي ، وهذه الرسوم المعلقة التي أعرفها وتعرفني ، وأحسن ما فيها صورة سلمى الزيتية متقنة كل الإتقان أما صورة عزيز ففيها سطور غامضة والنور منعكس عليها من فوق بينما وجب على الرسام أن يعكسه عن اليمين ، وطالما تناقشنا في هذا الرسم وبحثنا في نظرية النور والمنظر . وهذا صندوق اللفائف مصنوعا من الآبنوس الملبس بالأصداف أتناول منه واحدة أشعلها وأقف أمام النافذة المطلة على المحمودية أنظر مياهها الكدرة المتدفقة إذ كنا في أول سبتمبر وفيضان النيل على أشده

نعم لا أزال أفكر في هذا كله كأني أراه الآن ماثلاً أمام عيني. ثم طال انتظاري فقرعت الجرس وجاءت الخادمة ، فقلت لها: أين الجماعة ؟ ... فأجابت : إن سيدتي ترتدي ثيابها، وأما الأستاذ فقد ذهب منذ هنيهة. ثم نظرت إلى الخادمة نظرة لم أرتح لها. وما هي إلا ثوان معدودة حتى جاءت سلمى يموج جسمها في دثار بابائي قد التفت به حاسرة عن ذراعيها وصدرها . وقد صففت شعرها

وعقصته بمشط لين العاج قد انتظمت على حافته حجارة مبرقة ، وأصلحت من شأنها فى كثير من الاختصار والانسجام . فما أن رأتنى حتى مدت إلىّ يدها مصافحة، وقالت وهى تبتسم عن مثل اللآلئ صفاء : عمراً لقد جرى ما لم يكن فى حسابى، فإن عزيزاً قد استدعى فجأة لأمر هام وهو يأسف لأنه لا يعود قبل الساعة الثامنة . وقد أوصانى أن أحتبسك حتى عودته لنصل جلسة بعد الظهر بالسهرة ...

ولم أجد غرابة فى هذا كله بل وجدته طبيعياً وقلت لها : لعلك لولا حضورى كنت تخرجين مساء . قالت : لا وحقك إنى متعبة فاجلس نترثر قليلاً ...

وأخذنا فى حديث عن الفيضان والبعوض ، وكانت سلمى تقول إنها لم تعد تطيق السكنى فى هذا المنزل وإنها سوف تنتقل إلى ضاحية الرمل حيث أكثر الأصدقاء والمعارف، ثم اندفعت فى امتداح ضاحية الرمل بينما كانت الخادمة تحضر مائدة الشاى ، فأصبت كوباً منه وأكلت قطعة من الحلوى ، وقدمت إلى سلمى لفافة من التبغ شرعت فى تدخينها ، وقد قامت وقعدت مراراً تستحضر إما منديلاً أو صحفة أو ملعقة ، ورأيت فى تثنيها شيئاً من التصنع والارتباك ، ثم نادت الخادمة وقالت لها : إنه يمكنها الانصراف على أن تكون فى المنزل فى حدود الساعة الثامنة

وشدت سلمى ثوبها على جسمها ، وقعدت بجانبى ، فصور الثوب أعضاء جسمها تفصيلاً ، وهبّت منها رائحة عبقة تغلغلت فى دماغى ، ثم مدت ذراعها وألقتها على ظهر المقعد ورائى دون أن تمسنى ، ونظرت إلىّ نظرة كدت أستريب منها وقالت : ما رأيك فى كأس من الكونياك ؟ ولم تتم كلمتها حتى وثبت إلى غرفة الطعام ، وفتحت خزانة واستحضرت منها زجاجة وهى تقول : إن هذه الزجاجة تزعم أن هذا الكونياك كان شراب نابليون

فضحكت وقلت : ونحن الآن نقلد نابليون بشربه

وسكبت لى كأساً ومثلها لنفسها فشربنا وقد تذوقت الكأس وأعجبت بجودة الصنف فعلاً ، أما هى فترشفت نصف كأسها ، ثم سكبت لى الثانية

وقد جرى هذا كله فى سهولة وبساطة ، وسلمى تقول : إن خياطتها أصبحت من الطمع بحيث صارت تفكر فى استبدالها وقالت : إنها خاطت لها قميصاً من الحرير هو هذا الذى تلبسه — ثم كشفت دثارها عنه فإذا به يضم نهديها إلى ركبتيها فى تموج عجيب — وإنها تقاضت منها أجرة وكلفة لا يحتملها القميص .

وكنت تجرعت الكأس الثانية فسكبت لى كأساً ثالثة رفضتها رفضاً قاطعاً لكنها لم تصغ إلىّ . ومضت فى حديثها عن القميص بينما أخذت أتمصص الكأس ، ثم وقفت أنظر إليها مصغياً إلى حديثها أقول : أنتن السيدات لا تعرفن اهتماماً إلا بهذه الخرق الحريرية . . . فقالت : ألا يعجبك حرير هذا القميص . فابتسمت ، فإذا بها واقفة حيالى فاترة العينين ملتهبة الخدين ، ثم رفعت ذراعها إلى جبينها وهى تقول : لا أدرى ما بى ... لعل هذا الكونياك قد دار رأسى به . فقلت: لا عليك اجلسى . ولكنها تثنت قليلاً وقالت كأنها تريد أن تصيح : فريد ! فريد ! استندنى إليك . . .

فذعرت كل الذعر؛ وما أن أسندتها إلىّ حتى استرخت بين يدى وضمتنى إليها متعلقة بى متثاقلة بجسمها علىّ وأنا أدفع بها فى لطف وتؤدة حتى أجلستها على المقعد وقد تلاصقت بى تلاصقاً غريباً وشدتنى إلى صدرها شداً عنيفاً

وأردت أن أهرع إلى حيث أستحضر لها كوباً من الماء ، ولكن تعلقها بى منعنى من ذلك . ولا أدرى لماذا خطر لى فى إبراق عجيب ذاك الحادث الذى حدثنى به زوجها عن تصنع الإغماء . فرأيتنى فى موقف مدهش يقتضينى بتاً سريعاً: إما الخيانة ومسايرتها أو القطيعة والجفاء . وكان دمى يفور ويغلى والعرق يتصبب منى ولا أعرف كيف ولا لماذا قلت لها :

— إياك أن يغمى عليك فإنى حينئذ أستدعى لك الأسعاف .

ولا شك أنها سمعت كلامي. لم تأبه له وحسبت أكبر حساب لغريزة الرجل فأصرت على إغمائها. وتلطفت في التماس منها وتباعدت عنها وتسيت الماء والكوب والأسعاف وبقيت واقفاً حائراً، وسلمى قد فتحت ذراعها وكشفت قميصها وزاد خفقان صدرها ثم أنَّت قليلاً في خفوت واختناق ثم لزمت الهدوء

فأشملت لفافة من التبغ وسرت أذرع الغرفة ذهاباً وإياباً وأنا لا أعي ما أطأ حتى عيل صبري. وكلما طال انتظاري وتمادت في غيبوبتها كان الغضب يطرد في صدري وتقوى عوامل الشرف والصداقة والإخلاص، حتى رأيتني واقفاً أقول:

— هذه مهزلة مألوفة وليس مثلك من يمثلها مع مثلي. ونحن أصدقاء العمر فقد أخطأ حسابك، وإذا كنت أتقنت مثل هذه المهازل فجربها مع سواي.

وإني لأذكر تمام الذكر أن سلمى انتفضت عن مقعدها كالنمرة الضارية، ثم لمَّت ذراعها والتفت به ووقفت في وجهي تلهث من الخيبة وتحدجني بلحظ يتقد غيظاً وقالت وهي تتلظى غضباً:

— أنت رجل مغفَّل

***

واليوم إذ أستعيد هذه الذكريات أحاول عبثاً أن أستبين كيف مضت الأيام التي تلت هذا الحادث وكيف نزلت بي حمى شديدة استوجبت نقلي إلى المستشفى حيث قضيت أشهراً بين الموت والحياة علمت بعدها أنه لم تعدني فيها سلمى ولا زوجها. وقد فتَّت الحمى في عزيمتي وغادرتني شائب الرأس مهدوم الجسم؛ وحاذا اليوم بعد خمس سنين أراني قد انحدرت بي السن أشنع انحدار وتوغلت في الكهولة أيما توغل.

وفي كل هذه المدة لم تقع عيني على الأستاذ عزيز سامر ولا على زوجته سلمى، ولكنني لا أزال أذكر والأسى يملأ صدري والدمع يكاد يتفجر من مقلتي أنني كنت صديقاً حميماً للأستاذ عزيز سامر ولزوجته سلمى

(الأسكندرية) خليل شيبوب

M. Arab. 143

الشيطان ذو الأجنحة

إن لسكان جزيرة سيلان أسطورة مقدسة تخبر بالشر عن تاريخ سيلان مدة تزيد على أربعة وعشرين جيلا ويستنتج من هذه الأسطورة أن الجزيرة التي زارها بوذا مراراً كي ينشر فيها تعاليمه بنفسه مرت بعهود من الرفاهية لم تعرف مثلها إلى ذلك الوقت ومن المحتمل أن يكون سكانها أكثر عدداً من الآن فآثار الهياكل الكثيرة والبحيرات الاصطناعية التي أهلوها لا تزال برهانا على ذلك.

ولا داعي للبحث بعيداً جداً عن أسباب نقص عدد السكان فالجزيرة المباركة قد اجتاحها مراراً المرض الوبائي بقساوة فان أهالي الجزيرة وكذلك أيضا البرتغاليين الذين احتلوها في الجيل السادس عشر والهولانديين الذين طردوا هؤلاء وأخيراً الانجليز الذين ملكوا بعد ذلك سيلان قد قاسوا كثيراً من تفشي هذا الوباء وقد نشر الهولنديون أيضا سنة ١٦٤٧ خريطة عن سيلان وقد تركت مناطق كاملة بيضاء مع أنه لم يكن المقصود من ذلك أنها أراض مجهولة إذ كان الانسان يقرأ على هذه البقع البيضاء هذه الكلمات التي لا تدع مجالا للشك جهات أقفرها المرض.

ففي سنة ٢٣٨ مسيحية على عهد «دهامابو» قد اجتاحت الحميات والأمراض هذه المناطق وأهلكت السكان على مايؤكده الرواة في سيلان بدرجة أنهم عجزوا عن أن يزرعوا الأرز وقد نتج عن ذلك مجاعة طويلة المدى فنسبوا هذه البلية إلى حيث الشيطان ذي الجوانح وسعوا لتجنبه بواسطة الرقص حسب الطقوس الدينية ولكن الرواة يؤكدون أن سكان سيلان لم يجدوا السعادة مع ذلك طالما أن الشيطان ذو الأجنحة السوداء لم يقتل بعد.

وقد قامت الحكومة الانجليزية بمحاربة بعوض الملاريا بنشاط كبير في سيلان يمكن الانسان أن يأمل الآن بعد ثمانية عشر جيلا بأن الساعة قد حانت أخيراً كي يرى نهاية حكم الشيطان ذي الجوانح كما يقول الرواة وقد بنوا أيضا مستشفيات كثيرة وفي بحر هذه السنوات الأخيرة عند ما عمت الملاريا بشكل وبائي قد وزعوا مراراً ألوف الجرامات من الكينا خلال ستة أشهر إما على سبيل الوقاية وإما على سبيل التداوي والطريقة التي تصفها لجنة الملاريا في جمعية الأمم تلخص في تطبيق العلاج السريع بالكينا أي مقدار جرام واحد أو جرام وثلاثين سنتجرام يوميا مدة خمسة أو سبعة أيام وهي سلاح قوي لشعب يجند بأكمله ضد الشيطان ذي الأجنحة وتوصي على سبيل الوقاية بأخذ ٠,٤ ملليجرام من الكينا يوميا طول مدة موسم الحميات.

أطلب مؤلفات
الأستاذ النشاشيبي
وكتابه
الإسلام الصحيح
من مكتبة الرغائب الشارع الملكي بالقدس
ومن المكتبات العربية المشهورة